



يتفاعل المسلمون مع رمضان، وتبدو مظاهر التغير في حياتهم، وفي عبادتهم، حتى لو غاب أحد عن المجتمع وعاد إليه في رمضان لم يصعب عليه أن يكتشف دخول الشهر من واقع الناس. يصوم عامة الناس شهر رمضان، حتى أولئك الذين يُفِرِّطون في الصلاة كثير منهم لا يُفِرِّط في الصيام. يصلّي الناس من قيام رمضان ما كتب لهم، يقرؤون القرآن، يؤدون العمرة، يتصدقون... ولكن.

حين ينصرم رمضان يصعب أن نرى تغييراً في واقع الأفراد أو واقع المجتمع... فلماذا؟

لقد أخبر تبارك وتعالى أن الصيام يحقق التقوى في النفوس، فقال: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** (البقرة:183)

والقرآن والصلوة والصدقة لها أثراًها البالغ في إصلاح النفوس، ومع ذلك ما نراه في الواقع يختلف كثيراً عما يجب أن يكون. يصعب تفسير هذه الظواهر من خلال عامل واحد، أو احتزالها في إجابة جزئية، لكن كثرتها تقودنا إلى **سؤال مهم: ما مدى عنايتنا بمقاصد العبادات؟**

لقد جاء الحديث عن مقاصد العبادات في القرآن الكريم أكثر من الحديث عن تفاصيل أحكام العبادات.

وكلّ من أحكام العبادات روعي فيها مقاصدها، فإقبال الإنسان على طعامه حين يحضر، وقضاؤه لحاجته يُقدم على صلاة الجمعة الواجبة، والطمأنينة في المشي إليها أولى من الإسراع لإدراك ركعة أو ركعتين.

ومقصد الاجتماع روحي ولو في تغيير كيفية الصلاة، وعدد ركعاتها في صلاة الخوف.

إن هذا يتطلب من المربين والمعلمين أن يعتنوا بتعريف الناس بمقاصد العبادات وتجلياتها لهم، ويكفي في ذلك ماجاء بنص القرآن والسنة.

وهو يتطلب الاعتناء بالتذكير بها والوصاية بها، والتأكيد عليها.

وهو يتطلب ربطها بالأحكام التفصيلية فيما تظهر حكمته دون تكلف أو قول بغير علم.

إن المسافة شاسعة في دروسنا وعلیمنا بين ما نقدمه من حديث عن المقاصد، وحديث عن تفاصيل الأحكام، وبين ما

يتكرر في وعظنا من أمر أو زجر على التقصير، وما يرد من وقوف عند أسرار العبادات.

لذا ينبغي ألا يتغير استغراتنا اعتناء الناس بمظاهر العبادات أكثر من حقائقها، وبصورها أكثر من مقاصدها.

والله عز وجل غني عن عباده، لا حاجة له في عبادتهم وطاعتهم؛ إنما فرض عليهم العبادة ل حاجتهم هم إليها: {لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَأْكُمْ وَيَسِّرْ الْمُحْسِنِينَ} (الحج:37).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور و العمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه و شرابه» (رواه البخاري).

مجلة البيان

المصادر: